

« الشعر والمعرفة »

في اوائل تموز الماضي ، اقيم في النبطية ، لبنان الجنوبي، مهرجان شعري تحت شعار « الشعر والمعرفة ». ونشر فيما يلي ملاحظات صدرت في مجلة « الاخبار » البيروتية (١٠ تموز ١٩٧٦) حول هذا المهرجان

الجديد ، لاجمة لهذه الامكانيات . ويظهر اللجم في علاقة الضرورة بين المعاني من جهة والالفاظ في تشكلها من جهة ثانية .

المعاني التي تنتجها التحولات الاجتماعية والتي هي في الوقت نفسه حياة المجتمع على مختلف المستويات فيه، ما ظهر منها وما خفى ، وفي مختلف الابعاد والخلفيات والتطلعات ، اي التي هي حياة المجتمع في صيرورة التجاوز المستمر .

وهذه المعاني التي تنتجها التحولات ليست وجودا مجردا في المجتمع ، بل هي وجود مادي في اشكال تعبيره المختلفة والتي منها سلوك الناس وعلاقاتهم ببعضهم ، ولفتهم المادية المعبرة عن احساسهم ورؤاهم وعالمهم اليومي بجوانبه النفسية والمادية وبكل الهوموم التي تحتل سويغات عيشهم وزوايا ذاكرتهم .

الا ان اشكال التعبير التي ذكرنا غالبا ما تبقى قاصرة عن الاحتواء العميق لهذه المعاني وعن امكانية النفاذ الى الابعاد التي ذكرنا او لنقل عن الوصول الى ان تكون على مستوى صيرورة التجاوز المستمر . من هنا كان من مسؤوليات الشعر - والفن عامة - مسؤولية محاولة الوصول او الوصول ، الى هذا المستوى .

ومحاولة وصول الشعر الى هذا المستوى تعني تحقيق هذه الضرورة القائمة بين المعاني المطروحة في اوسع ابعادها واغناها وبين الالفاظ في اوسع قدراتها على تفجير هذه المعاني وتطويرها . ومن هنا تنشأ ضرورة التغيير ، تغير اشكال التعبير التي هي في الشعر اللغة ، اللغة - الالفاظ في قوانين انتظامها وبنائها .

وارتباط المعنى واللفظ بعلاقة ضرورة يعني ان اللجم للقدرة الشعرية ليست تقصيرا في تغير اللغة الشعرية او ادوات التعبير الشعري وحسب بل هي ايضا عجز في امتلاك المعاني التي ينتجها الواقع الاجتماعي في عملية تحوله وتكونه الجديد وعجز في كشف ابعادها .

لعلهم يصلون الى مستوى واقعنا الاجتماعي

القصائد التي قدمت في مهرجان « الشعر والمعرفة » الذي اقامه المجلس الثقافي للبنان الجنوبي كانت ، حسب قصد اصحابها ، محاولة انتاج شعري جديد في اطار « المعركة » . ذلك ان هذه القصائد كتبت جميعها في هذه الفترة الزمنية .

ولعل هذا القصد يحمل دلالة هامة ، هي ادراك الشعراء - وهو ادراك صحي - بضرورة التغير الشعري الذي تفرضه تحولات واقعنا الاجتماعي ، ومثل هذا الادراك هو الخطوة الاولى التي لا بد ان تسبق المحاولة ، كما ان المحاولة هي الخطوة الثانية - الخطوة العملية الطامحة الى تحقيق هذا التغير . فهل انتقل الشعراء بالقصائد التي القوها في المهرجان من خطوة ادراك ضرورة التغير الى خطوة محاولة هذا التغير محاولة فعلية وجدية والى اي مدى ؟ ..

الانطباع العام يفيد ان معظم القصائد كانت اقرب الى التحويم في عالم اصحابها الشعري السابق وانها لم تتمكن من الدخول ، شعريا ، الى عالم واقعنا الاجتماعي الذي يتكون ونعيشه ، وليست الفاظ الدم والاستشهاد، والم الفراق والموت بدليل كاف على دخول القصائد الى هذا العالم ، بل لربما كانت اقرب للدلالة عن رؤيته من بعيد .

كما يفيد الانطباع العام ان معظم القصائد ما زال يعاني صعوبة التحرر من الشكلية والتجريد ويتعثر في اكتساب التميز الشعري لصاحبه .

ان حسن عبدالله الذي يتمتع بامكانيات شعرية كبيرة تجلت في العديد من قصائده نراه هنا لا يتجاوز هذه القصائد مقدرة شعرية ، بل لعل قصيدته الجديدة التي القاها تظهر ، على ما فيها من وضوح في الموقف

ومن هنا كانت محاولة التغيير هي محاولة امتلاك وعمل ، امتلاك للواقع وعمل على مستوى اللغة او الأدوات ، والامتلاك لا يكون بالنظر الى الواقع من بعيد بل بممارسته فعلا ، بالمشاركة في عملية تكونه ... والعمل هو عمل واسع في حقل الشعر ، عمل يعرف الشعراء صعوباته ، وبدون ذلك يبقى ادراك ضرورة التغيير ادراكا مبدئيا وربما مطلقا .

ولقد كانت قصيدة شوقي بزيع الثانية (عناوين سريعة لوطن مقتول) في بعض مقاطعها توحى بهذا الامتلاك وبهذا العمل ، وبذلك جاءت تعبيرا عن محاولة جديدة للتغيير ، التغيير لجهة التحرر من الشكلية والتجريد وفي اتجاه اكتساب صفة التميز . هذه المقاطع كانت تعانق الواقع شعرا وتقول له شعرا وهي اذ تعانقه وتقول لا تختنق به بل تنوجد به لينوجد فيها ابدا . لعل شوقي يمتلك هذه المحاولة فيطلقها . ولعل شعراءنا الذين استمعنا اليهم في المهرجان يصلون الى مستوى المعركة ، الى مستوى واقعنا الاجتماعي التاريخي الذي نعيش ، هذا الواقع الذي عبر محمود درويش عن عمق المأساة فيه حين انتهى بقصيدته الى القول .

« ولذا يكتب الراوي على كل البيوت

الحقيقي يموت »

يمنى العيد

انها امسية تضامن !

خمسة من شعراء الجنوب التقوا ظهر الاحد الماضي في النبطية ، والقوا بعض قصائدهم عن نافورة الدم اللبنانية والارض المتخنة بالجراح . والشعراء هم شوقي بزيع وحسن عبدالله وعبدالكريم شمس الدين ومحمد عبدالله والياس لحود . وذلك في لقاء اول نظمه المجلس الثقافي للبنان الجنوبي ضمن سلسلة مماثلة .

في هذا اللقاء اخترق المجلس الثقافي للبنان الجنوبي اشكالا متعددة من الحصار ، ابتداء من تفرق الاعضاء والاصدقاء في مهمات المعركة وواجباتها ، ومرورا باحوال النقل تحت قذائف الغزو والفاشية ، وليس انتهاء بالقلق الكبير على مصير الوطن والارض امام المؤامرة الكبيرة .

الامسية الشعرية كانت تحت عنوان « الشعر والمعركة » . كما سبق الشعراء كلمة تقديم لعصام عبدالله وكلمة تبرير ، اذا صح التعبير ، لان يكون عنوان الامسية ، هو « الشعر والمعركة » ، لحبيب صادق . اما التأثير العام للامسية فربما يوضحه حديث قصير بين كاتب هذه السطور و احد شعراء الامسية . فقد قال الشاعر انه لا يملك ان يكتب الان الا ما هو تحريض للناس ودفع لهم الى الثورة . وقد يقرب ما يكتبه ، بدرجة كبيرة ، من المضامين المباشرة والى ما يحتاج اليه الناس من معرفة عن المأساة اللبنانية .

ولكن ماذا كان الشعر قبل المأساة اللبنانية منذ ستة عشر شهرا ، او ماذا يكون الشعر في جوهره قبل اي وقت من اوقات الشدة ان لم يكن دفعا وتحريضا ، وبشكل او باخر ؟ وبالتالي لماذا كان هذا العنوان الساذج منذ البداية : الشعر والمعركة ؟ ولماذا ايضا حديث الاستاذ حبيب صادق عن بابلو نيرودا الذي لم يزد كثيرا في المعرفة بنيرودا او بنظرية الشعر - المعركة التي لا تحتاج الى كثير تنظير ؟

واذا كانت قصائد بعض شعراء الامسية نفذت الى اعماق ذلك التحريض الذي تحدث عنه شاعرنا ، فان البعض الاخر من القصائد لم يتنفس بعد من هواء لبنان المفعم بالموت ودخان الحرائق وشظايا القذائف ، لم تتنفس من الهواء الحقيقي الذي يتنفسه اللبنانيون . والانطباع الذي قد تكونه الامسية لدى قادم من الجبهة هو انها امسية تضامن لشعراء لبنانيين مع قضية لبنان ، لا شعراء مقاتلين في معركة الوطن المهدد . وتكرار كلمات « الشهيد ، الدم الالوان الحمراء ، الموت ... » لا تغني عن حرارة وتحريض ظلا مفقودين .

لعل شكل الامسية الشعرية ، وامام جمهور مختار يأتي مرتاحا ، لم يعد ملائما للهواء اللبناني الحقيقي . ولعل مشاركة الشعراء في الاحتفالات بالشهداء والمناسبات العامة المشحونة بالتوتر والغضب والتحيز هي الافضل لكي يكون للشعر ذلك التحريض وذلك الاثر النفاذ والمضيء .

نزار مروة

